دمشق المحروسة في عهد الناصر لدين الله السلطان صلاح الدين الأيوبي
(٥٧٠-٨٥٩هـ/١١٧٤-١١٩٣م)
(الحلقة الثانية)

الدكتور: محمد سامي سلطان.
Sami Sultan <samisultan7@gmail.com>

أما في القسم الثاني : تحدثت عن أهم المحاصيل الزراعية في دمشق و من أشجار مثمرة و ما تشتهر به من عبق الرياحين و الزهور و الورد، و تناولت عن الاقطاع الزراعي و ما عانه الفلاحون من ظلم الاقطاعيين و جورهم، و ما نقل الفرنجة من بعض المزروعات إلى أوروبا لعدم وجودها في بلادهم، و عن أهم الحيوانات التي استفاد بها القرويون في التنقل و الرعي و كذلك انتاج اللحم و الحليب منها، تربية الطيور الداجنة و الاستفادة من لحمها و بيضها، و تحدثت عن الصناعة و أهم الصناعات التي اشتهرت دمشق خصوصاً بها و بلاد الشام بشكلٍ عام، ثمَّ أخيراً التجارة و طرقها الداخلية و الخارجية و عن الأسواق الموجودة في دمشق و خانتها و قيسارتها و كذلك العملات المتوفرة في ذلك العصر، و أخيراً تمَّ الحديث عن المنشآت الموجودة في مدينة دمشق و ما بها من أوقاف كالمدارس و الخانقاوات و الزوايا و الأربطة و المساجد و حتى الكنائس و كذلك الحمامات العامة و البمارستانات .

Dr. Sami Sultan was born in Damascus on 28/5/1979, a graduate of the Arab University of Beirut, Faculty of Arts department, Department of History, and I was a lecturer for three years at Damascus University from 2015-2017. Today I work on writing historic books and researching the Islamic history and especially during the crusades.

In **the second section:** I talked about the most important agricultural crops in Damascus and of fruit trees and what is famous for the fragrant of wind, flowers and roses, and I talked about the agricultural sectors their ruthless treatment to farmers and what the farmers suffered from the injustice of the feudal, and what the Franks moved from some crops to Europe because they did not exist In their countries, and about the most important animals that the villagers benefited from for transportation and grazing as well as the production of meat and milk from them, raising domestic birds and taking advantage of their meat and eggs, and talked about the industry and the most important industries that Damascus in particular was known for and the Levant in general, and then finally traders and its inner and external ways and the shops located in Damascus and its entry and kingdoms, as well as the currencies found in that time, and finally there was a talk of the facilities in Damascus and its endowments such as schools, khanawat, corners, mosques, even churches, as well as public baths and hospitals.

جـ- الأوضاع الاقتصادية في دمشق في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي :

شهدت فترة الحروب الصليبية حركة اقتصادية بين المسلمين و الفرنجة سواء على الصعيد الداخلي في بلاد الشام أو مع مصر، أم على صعيد العلاقات بين بلاد الشام و الغرب الأوروبي، و نظراً للأهمية الاقتصادية بلاد الشام، فقد اعتبر البعض بأن الحروب الصليبية هي في حقيقتها حروبٌ اقتصادية(١٥١)، و قد نهضت دمشق منذ زمن الزنكيين و كذلك بعد دخول صلاح الدين إليها في جميع مرافق الحياة، و خصوصاً من الناحية الاقتصادية في الزراعة و الصناعة و التجارة، و على الرغم من الحروب المدمرة في بلاد الشام فقد استمرت الزراعة متطورة و نشطة بسبب حاجة السكان و الطارئين إلى المواد الغذائية، و اشتهرت بلاد الشام بكثرة حاصلاتها، و تنوع منتجاتها، و جودة أصنافها، و قد ذكر الإدريسي بساتين دمشق و مياهها و محاصيلها(١٥٢) و كذلك القلقشندي ذكر أهم المزروعات التي تشتهر فيها دمشق (١٥٣)، و من أهم الحاصلات الزراعية الحبوب و البقول كالقمح و الشعير و الأرز و هي مصادر غذائية أساسية للإنسان و الحيوان(١٥٤)، و كذلك الخضار كالبصل و الثوم، و الترمس و اللفت و الخس و الكرمب التي تنتشر زراعتها في غوطة دمشق(١٥٥)، و تعددت الأشجار المثمرة التي اشتهرت بها دمشق و خصوصاً في غوطتها كالمشمش الذي يدعى بخوخ دمشق، و قد تعددت أنواعه(١٥٦)، و يذكر ابن شداد وصول مشمش دمشق إلى صلاح الدين، و هو مقيمٌ على حرب الفرنجة في يافا، و قد أطعم أمراء جيشه منها، و كان برفقته ابنه الملك الظاهر غازي صاحب حلب(١٥٧)، و هناك التفاح الذي يعدُّ مضرب المثل لكثرة أنواعه و جودته(١٥٨)، و تكثر زراعته في المناطق المرتفعة كقرية الزبداني و تعتمد زراعته عن الأمطار(١٥٩)، و هناك الدراق (١٦٠) و الإجاص(١٦١) و السفرجل(١٦٢) و التوت(١٦٣) و اللوز(١٦٤) و الكرمة (١٦٥)و التين(١٦٦) و الرمان (١٦٧)و الجوز(١٦٨) و الفستق(١٦٩) و البطيخ(١٧٠)، و تمتاز دمشق بتنوع أزهارها و ورودها ذات الرائحة العبقة فسمّاها العرب بالفيحاء، و أهم الورود التي اشتهرت بها دمشق الورد الجوري(١٧١)، و هناك النرجس و الزعفران و البنفسج و اشتهرت دمشق بالياسمين و المنثور و الزنبق و القرنفل(١٧٢)، و انتشر أشجار الحور على ضفاف نهر بردى لحاجته للري الدائم، و انتشر السرو في الغوطة و بوادي بردى(١٧٣).

و هناك من الدلائل ما يشير إلى شيوع الاقطاع الزراعي في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية، جرى بمقتضاه توزيع الأراضي على الأجناد و كبار رجال الدولة، فضلاً عن زعماء العشائر و البطون، و معظم هؤلاء كانوا يوزعون الأرض بدورهم على الفلاحين لزراعتها(١٧٤)، و يوري الأصفهاني أن الوزير السلجوقي نظام الملك هو الذي عمم النظام الاقطاعي الحربي في الدولة السلجوقية(١٧٥) و سارت عليها الدولتين الزنكية و الأيوبية و المملوكية من بعدها، فنجم الدين أيوب و أخوه أسد الدين شيركوه، ثمَّ ابنه صلاح الدين و إخوته و بني عمومته، تولوا وظائف متنوعة في الدولة النورية و منحوا مقابل ذلك إقطاعات وفيرة، فقد تولى صلاح الدين وظيفة شحنة دمشق و منح إقطاع مناسب في دمشق و غيرها(١٧٦)، و قد ارتأى صلاح الدين إعادة توزيع الاقطاعات، و تحديد مساحاتها بما توائم الأوضاع الاقتصادية المستجدة(١٧٧)، و كان الاقطاعي مسؤولاً عن زراعة الأرض و سقايتها، و اختيار الفلاحين الاكفاء و إعدادهم، و الإشراف على المحاصيل و جنيها، و صيانة الجسور، و كري القنوات، و الجباية و حفظ الأمن داخل اقطاعه(١٧٨)، و يلاحظ أن الفروسية التركمانية التي كانت ركناً أساسياً من أركان الجيوش الإسلامية في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، ارتبطت خدمتها الحربية بما يحصل عليه أربابها من أراضٍ، الأمر الذي جعل النظام الاقطاعي يتسع تدريجياً باتساع نطاق حركة الجهاد الإسلامي ضدَّ الفرنجة في ذلك الدور، و لم تضع حداً لتحول الكثير من أراضي الشام إلى إقطاعات عسكرية سوى حرص بعض الحكام و غيرهم على وقف جهاتٍ لا يستهان بها على المدارس و الزوايا و الجوامع و البيمارستانات، و نحوها من المنشآت الخيرية و الدينية، حتى تتمكن من أداء

رسالتها، و يستفيد ريعها الصوفية و المساكين و المرضى و الأيتام و طلاب العلم و نحوهم، و لاشك في أن هذه الأوقاف وضعت حداً ما لنمو الإقطاعات العسكرية، لكن الفلاحين قاسوا من غارات و اجتياحات جيوش الفرنجة و عدم الاستقرار و الأمن، أكثر مما قاسوه من ظلم الاقطاعيين و أرباب الضياع الكبيرة، لأن هؤلاء الأخيرين انصرفوا غالباً إلى القتال، و شغلوا بالمشاركة في الأحداث الحربية و السياسية و نحوها عن ملاحقة الفلاحين، و مع ذلك فإن حياة الفلاح ظلت كما هي في تلك العصور، لا تختلف كثيراً في بلاد الشام عنها في أي مكانٍ آخر، و إذا كانت غوطة دمشق قد شهدت في ذلك العصر جواسق و اسطبلات و طواحين و حمامات و أسواق و ترب و جوامع و مشاهد، غير القرى و الضياع فإن نصيب الفلاح من هذه النعم ظلَّ محدوداً في القرى الضيقة الطرق المظلمة، ذات المنازل المشيدة من الطين و الآجر(١٧٩)، و لقد كان على الفلاحين حراثة الأرض منذ مطلع الخريف و القيام بالبذار و حماية الحقول الأراضي المزروعة، و قد عانى الفلاح في بلاد الشام إلى أبعد الحدود من رجال الاقطاع و أهل الديون و مختلف رجالات السلطة و كذلك دفع ثمن المخاطر الخارجية التي نجمت عن الأعمال العسكرية الفرنجية(١٨٠).

استفاد الفرنجة من الزراعة الشامية حيث بدأوا بنقل بعض المزروعات إلى أوروبا التي تعرفت إليها كالسمسم Sesame و الخروب Carobe و قصب السكر Surce و الليمون Limon و الأرز Riz القطن Coton و بصل عسقلان Secallion و سوى ذلك من النباتات و الثمار و الفواكه(١٨١) .

و أخيراً استخدمت الحيوانات وسيلة أساسية للنقل و الأعمال الزراعية و الاستفادة كذلك من لحومها و مشتقات ألبانها، كالخيول و الجمال و الأبقار و البغال و الحمير و الأغنام و الماعز، و كذلك تربية الدواجن و الاستفادة من لحومها و بيضها، كالأوز و الدجاج و الحمام.

تطورت الصناعة في دمشق زمن صلاح الدين الأيوبي و تحدث الإدريسي عن الصناعة قائلاً :<< دمشق جامعةٌ لأنواع الصناعات، و أواع الثياب الحريرية، و الذي يحمل إلى كلِّ بلدٍ و يضاهي ديباجها ديباج الروم البديع>>(١٨٢)، و عرفت دمشق صناعة النسيج منذ القدم و تفنن الصناع في عملهم، و موادها الأولية هي من الحرير أو الصوف أو القطن، يصنع من الحرير الديباج المطرز بالخيوط الذهبية المتقنة(١٨٣)، و يصنع من الصوف العباءات و المشدات و صناعة الخيام و أشهرها الخيام السلطانية فهي عظيمة الشأن، مختلفة المقادير و الصنعة(١٨٤)، و صنع من القطن الألبسة القطنية، و صنعت أيضاً الخيام السلطانية من القطن الشامي الملون بالأبيض و الأحمر و الأزرق و غيرها(١٨٥)، و صنع من الكتان المستورد من مصر الملابس النابلسية، و تعدُّ الصباغة من متممات الصناعات النسيجية في دمشق كصناعة الصباغ الأرجواني(١٨٦)، و اشتهرت في دمشق خلال العصور الإسلامية الصناعات المعدنية لتوفر المواد الأولية كصناعة الأسلحة من السيوف الدمشقية و الصناعات الحديدية الأخرى، و كانت مسابك الحديد في دمشق و حلب(١٨٧)، و أما النحاس فصنع منه الأباريق و الشمعدانات و الأحواض والقماقم و الجفان و الكؤوس و الكوسات(١٨٨)، و برع اليهود و النصارى في دمشق في صياغة الذهب و الفضة(١٨٩)، و كانت صناعة الورق من أقدم الصناعات في بلاد الشام، حيث كانت دمشق في مقدمة المدن في تلك الصناعة(١٩٠)، و هناك صناعة أخرى برع بها سكان بلاد الشام منذ أقدم العصور ألا و هي صناعة الزجاج حيث وصف الزجاج الشامي بالرقة و الصفاء، و امتاز الدمشقيون في زخرفة الزجاج بالذهب، و تلوينه بألوانٍ زاهية، كالمطلي بالمينا الذي صدر إلى كافة أنحاء العالم(١٩١)، و قد أغدق صلاح الدين على صنَّاع الزجاج الكثير من المال و حفاهم برعايته و ساعدهم في فتح المصانع(١٩٢)، و اشتهرت دمشق الأيوبية في الصناعات الخزفية و الفخارية، و المطلية بالمينا، و يوجد في دمشق حي خاص لهذه الصناعة يقع إلى الغرب من حي الصالحية(١٩٣) ، أما صناعة القاشاني فكانت من الصناعات الراقية

في دمشق و حلب أيضاً الذي انتشر استعماله في قصور و مدارس و جوامع دمشق، و كان لهذه المهنة سوقٌ خاص في المدينة(١٩٤)، أما الصناعات الخشبية فقد استخدمت من أخشاب أشجار بلاد الشام فقد صنعت من تلك الأخشاب الأبواب و أثاث المنازل و أدوات الطعام و الشراب(١٩٥)، و مما صنعه النجار الدمشقي المنبر الخشبي الذي أمر نور الدين صناعته لوضعه في المسجد الأقصى و فعلاً وضعه صلاح الدين بعد تحريره لبيت المقدس(١٩٦)، و هناك الصناعات الجلدية و دباغة الجلود كالأحذية و السروج و المطارح و القرب و يوجد العديد من الأسواق لهذه الحرفة، كسوق الحذائيين، و سوق الإسكافيين و سوق السراجيين(١٩٧)، و اشتهرت دمشق بصناعة الصابون الذي تفنن الدمشقيون في صناعته بألوانه و أطايبه(١٩٨)، و تعدُّ صناعة العطور و الأدوية و العقاقير الطبية منتشرةً انتشاراً واسعاً في بلاد الشام، و اشتهر العطارون في دمشق بصناعة أنواع العطور كالمسك و العنبرو ماء الورد و الكافور، و صنع العطارون كذلك الأدوية و العقاقير الطبية من الحشائش و الأزهار البرية المنتشرة في المروج و ما حولها (١٩٩)، و أما الصناعات الغذائية فهي مهمة لحياة الإنسان كصناعة الخبز من القمح و لا يجوز إخراج الخبز من التنور قبل النضج، و كان يباع الخبز بالوزن(٢٠٠)، و صناعة الألبان و الأجبان من حليب الأبقار و الأغنام و الماعز، و استخراج العسل من النحل(٢٠١)، و استخرج الثلج من الجبال كسلسلة جبال لبنان الغربية و الشرقية و أهمها ذرا جبل الشيخ لتبريد الأشربة صيفاً، حيث يجمع الثلج من الجبال و يضعونه في أماكن مخصصة بعد كبسه بطريقةٍ خاصة(٢٠٢)، و من الأشربة الرائجة في دمشق شراب الجلاب(٢٠٣) المبرد، سقاه صلاح الدين لأسيره في حطين الملك غاي لوزيجنان(٢٠٤)، و اشتهرت دمشق بشراب الفقاع(٢٠٥) و هو منقوع الشعير المخمر، و صنع الدمشقيون المربيات و الزيوت من زيت الزيتون، و يذكر ابن عساكر معصرتين للزيتون في دمشق الأولى معصرة الشيرج بالقرب من الكنيسة المريمية للروم الملكيين الأرثوذكس، و الثانية بالقرب من دار ابن المهار النصراني(٢٠٦)، و هناك معصرة يذكرها البدري وجدت في كفرسوسة(٢٠٧) نعود لزمن النبي عيسى (٢٠٨).

و تعرف الفرنجة إلى الكثير من المصنوعات العربية و نقلها إلى بلادهم مثل الصناعات الزجاجية و الخزفية و المرايا و الحلي و السجاد و المنسوجات و الأواني المعدنية و السبحات و الأصباغ و العقاقير و صناعة الصابون و السكر و سوى ذلك(٢٠٩).

كانت التجارة بشكلٍ عام قد ازدهرت بين البلاد الإسلامية و الأوروبية، و انتقلت المؤثرات الصناعية الشرقية إلى مختلف مناطق أوروبا(٢١٠)، و تعد بلاد الشام حلقة وصل و ملتقى القوافل التجارية القادمة من المشرق و العراق من ناحية، و من آسيا الصغرى و الشمال من ناحيةٍ ثانية و من شبه الجزيرة العربية من ناحية ثالثة ثمَّ من مصر من ناحية رابعة(٢١١)، و قد أولى صلاح الدين التجارة اهتماماً خاصاً و عناية فائقة، حيث شجع التجارتين الداخلية و الخارجية البرية و البحرية، مما يدل على ذلك المنشور الذي أصدره لتسهيل الأعمال التجارية و حماية التجار(٢١٢)، و حرص كذلك على إزالة المظالم، و الحقوق إلى أصحابها، و ألغى الضرائب و منع الرشوة، و ضرب على أيدي اللصوص، و نظر بنفسه في شؤون الناس(٢١٣)، و إذا كانت الحروب الصليبية قد عرقلت أحياناً مسيرة القوافل الإسلامية من الشام و إليه، غير أنها من ناحيةٍ أخرى ضافت النشاط التجاري و خاصة مع الغرب الأوروبي اللاتيني عن طريق الموانئ البحرية التي سيطر عليها الفرنجة على سواحل بلاد الشام(٢١٤)، فقد نشطت التجارة بين دمشق و القاهرة زمن صلاح الدين على الرغم من سيطرة الفرنجة على حصني الكرك و الشوبك الواقعين على طرق القوافل، و قد ازداد حجم المبادلات التجارية بشكلٍ خاص بعد استعادة صلاح الدين لهذين الحصنين، و فرض الأمن في المنطقة (٢١٥)،و كثيراً ما كان العامل التجاري يدفع المسلمين و الفرنجة سواء إلى عقد هدنة أو صلح ليتمكن الطرفان من استئناف التجارة دون عائق(٢١٦)، و قد أثارت هذه الظاهرة عجب الرحالة ابن جبير الذي اتجه من

دمشق الإسلامية إلى عكا اللاتينية في قافلة كبيرة للتجار المسافرين بالسلع، فقال :<< و من أعجب ما يحدث به في الدنيا أن قوافل المسلمين تخرج إلى بلاد الفرنجة و سبيهم يدخل بلاد المسلمين!!>>(٢١٧)،كذلك أشار ابن جبير في موضعٍ آخر إلى أن << اختلاج القوافل من مصر إلى دمشق على بلاد الفرنجة غير منقطع، و اختلاف المسلمين من دمشق إلى عكا>>(٢١٨)، و قد حرص صلاح الدين على تأمين طرق التجارة، وضرب على أيدي اللصوص، و قطاع الطرق و لم تأخذهم في ذلك رحمة و لا شفقة(٢١٩) ، و قد جنى التجار أموالاً طائلة، و اشتد الطلب في أوروبا في العصور الوسطى على التجارة الشرقية كالتوابل و الأصباغ و الحرير و الخزف و الصابون، و الحقيقة إن هذه الحركة التجارية شهدت تطوراً أكثر بعد الوحدة بين المسلمين في مصر و بلاد الشام زمن نور الدين محمود ثمَّ صلاح الدين الأيوبي، لأنه أصبح من المستطاع أن تجتاز السلع الواردة من العراق و فارس بأمان و اطمئنان إلى حلب أو دمشق إلى حوض البحر المتوسط و خلال فترة السلم ارتفعت أسعار بعض السلع المعيشية، و بعد عقد صلح الرملة بين صلاح الدين الأيوبي و الملك الإنكليزي ريتشارد قلب الأسد سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م، بدأ التجار من المسلمين و الفرنجة بتبادل التجارة بينهم كما ارتفعت الأسعار بما فيه سعر الفول بمصر من خمسة عشر دينار إلى ثلاثين دينار(٢٢٠)، انشأ نور الدين و من بعده صلاح الدين بإنشاء الخانات للتجار في الطرقات، مع إقامة الأبراج لحماية الطرق التجارية، و أزال المكوس المفروضة على التجارة ليشجع التجار على التردد على بلاده(٢٢١)، و قد وصف ابن جبير الخانات التي مرَّ بها في طرق الشام على أيام صلاح الدين فذكر الكثير عنها، و قال عن بعضها إنها << كالقلاع امتناعاً و حصانة، و أبوابها من الحديد و هي من الوثاقة في غاية>>(٢٢٢)، كذلك قال عن طريق حمص إلى دمشق إنه كثير الخانات، و من هذه الخانات خان السلطان الذي بناه صلاح الدين << و هو في غاية الوثاقة و الحسن، بباب حديد على سبيلهم في بناء خانات هذه الطرق كلها و احتفالهم في تشييدها، و في هذا الخان ماء جار، يتسرب إلى سقاية في وسط الخان كأنها صهريج>>(٢٢٣)، و لم يكن التجار الذين أسهموا في النشاط التجاري داخل المدن الإسلامية ببلاد الشام في ذلك العصر من المسلمين فحسب، و إنما شارك تجار غير المسلمين في ذلك النشاط مقابل ضريبة العشر التي فرضت على تجارتهم(٢٢٤)، و في دمشق ترتكز أسواق المسلمين و منشآتهم قرب المسجد الجامع و القلعة، في حين تركزت أسواق النصارى في الزاوية الشمالية الشرقية من المدينة، و اليهود في المنطقة الجنوبية؛ و إن كان ذلك لم يحل دون اختلاط كافة الطوائف في الأسواق و الأماكن العامة، مما يعطي صورة لجانب معين من جوانب الحياة الاجتماعية في المدن الإسلامية ببلاد الشام(٢٢٥)، و قد وصف ابن جبير أسواق دمشق بأنها << من أحفل أسواق البلاد و أحسنها انتظاماً و أبدعها وضعاً، و لاسيما قيساراتها، و هي مرتفعاتٌ كأنها الفناديق مثقَّفةٌ كلُّها بأبواب حديد كأنها أبواب القصور، و كلُّ قيسارية منفردة بضبتها و أغلاقها الجديدة>>(٢٢٦)، و كانت الأسواق في تنظيمها و ترتيبها تنفق و الطابع العام للأسواق في بقية المدن الإسلامية، بمعنى أن هناك سوق خاصة لكل سلعة أو صنف مثل سوق البطيخ و الفاكهة، و سوق القمح و الغلال، و سوق الغنم و الماشية، ة سوق الحدادين، و سوق النحاسين، و سوق الزجاجين، و سوق الشماعين و غيرها(٢٢٧).

أما النقود المتداولة في الإمارات الفرنجية فكانت تتمثل بالدينار الإسلامي الذي ضرب لاستخدامه في التجارة مع المسلمين، و قد اشتهر منه الدينار الصوري الذي سكه البنادقة في مدينة صور، و غدا الدينار الصوري أكثر العملات بسبب جودته(٢٢٨)، و كان تجار بلاد الشام و العراق يتعاملون بهذا الدينار تسهيلاً لأعمالهم التجارية، و قد بنيت في دمشق المنشآت التجارية كالفنادق(٢٢٩) و القيساريات(٢٣٠) و الخانات(٢٣١) و الوكالات(٢٣٢) و المتاجر(٢٣٣)، و أخيراً تطورت حركة التبادل التجاري و وجد نظام الروهنات و اشك ((الصك)) و المعاملات التجارية المتنوعة و قد أوجدت هذه الحركة التجارية أيضاً

أوراقاً مالية و شيكات تجارية باتت مقبولة في مختلف بلاد الشام و أوروبا، و أدى التبادل التجاري بين الشرق و الغرب إلى قيام علاقات رسمية بين التجار(٢٣٤).

د- الملامح العمرانية و الوقفية في دمشق في السلطان عهد صلاح الدين الأيوبي :

من أهم القوانين الاجتماعية التي أثرت في هذه الديار و أخلاق أهلها قانون الوقف، و تعريف الوقف : هو حبس العقار أو الأرض عن البيع و حصر المغلِّ في يد شخصٍ أو أشخاص على مقصدٍ معين، و كان يصرف في سبيل الله مالاً كثيراً ثمَّ يفنى فيحتاج أولئك الفقراء تارةً أخرى، و يجيء أقوامٌ آخرون من الفقراء فيحرمون، فلا أحسن و لا أنفع من العامة من أن يكون شيئاً حبساً للفقراء و أبناء السبيل، تصرف عليه منافعه و يبقى أصله على ملك الوقف(٢٣٥)، فالأوقاف : هي نوعٌ من أنواع ملكية الأراضي و التي توقف لأغراضٍ إنسانية أو لأغراضٍ أخرى، فيورد ابن جبير بخصوص الأوقاف قائلاً :<< و لكلِّ مشهدٍ من المشاهد أوقافٌ معينة من بساتينٍ و أرضٍ بيضاء و رباع، حتى إن البلد تكاد الأوقاف تستغرق جميع ما فيه، و كلُّ مسجدٍ يستحدث بناؤه أو مدرسةٍ أو خانقاه يعيِّن لها السلطان أوقافاً تقوم بها و بساكنيها و الملتزمين لها؛ و هذه أيضاً من المفاخر المخلَّدة>>(٢٣٦)، و لم يكن الوقف محصوراً للرجال فقط بل شمل النساء أيضاً يقول ابن جبير :<< و من النساء الخواتين ذوات الأقدار من تأمر ببناء مسجدٍ أو رباطٍ أو مدرسة، و تنفق فيها الأموال الواسعة و تعيِّن لها من مالها الأوقاف>>(٢٣٧)، فكلُّ منشأةٍ عمرانيةٍ تستحدث بناؤها يقوم الأمراء و الأعيان في الدولة الأيوبية و خصوصاً في دمشق أوقافاً يقول ابن جبير :<< و من الأمراء من يفعل ذلك، لهم في هذه الطريقة المباركة مُسارعةً مشكورةً عند الله>>(٢٣٨).

كانت الملكية الوقفية في عهد صلاح الدين تلقى عناية خاصة حيث وضعت تحت إشراف القضاة و الديوان، الذي يتولَّى إصلاح ما فسد منها، و كان يطلق على هذ الديوان اسم ديوان الأحباس(٢٣٩)، و كان لهذه الأوقاف إدارة تشرف عليها يرأسها متولِّي الأوقاف الذي يشرف على أوقاف المسلمين و يسهر على إنفاق أموالها في الجهات المتخصصة لها(٢٤٠)، فلم تكن الأموال التي بذلها صلاح الدين لمحاربة الفرنجة فحسب، بل بذلها أيضاً لبناء المدارس و الأربطة و الزوايا للعلماء و الفقهاء و الصوفية و طلاب العلم، و ذلك تقرباً لله (٢٤١)، و تعددت المنشآت الوقفية في دمشق في عهد صلاح الدين الأيوبي، فبنيت الكثير من المدارس في دمشق في عهده، و أوقفت لها الأراضي الزراعية و المباني و البيوت و الحوانيت للمدارس(٢٤٢)، و من أهم المدارس التي أوقفت عليها الأوقاف : ١- المدرسة العصرونية(٢٤٣) : أوقافها عشرة قراريط و نصف قيراط من قرية هريرة، و منه مزرعتان بعلبك تعرفان الآن بدير النيط، و منها أيضاً مزرعة تعرف بالجلدية بالغوطة بنحو أربعة عشر قيراطاً يزرعها أهل الحميدية، و منه قرية حمارا بالمرج الشمالي قيراط و نصف و ربع قيراط، و منه بالثابتية خارج باب الجابية بدمشق بستان يعرف بالسنبوسكي، واقف المدرسة العلامة قاضي القضاة و فقيه الشام شرف الدين عبدالله بن عصرون(٢٤٤)، ٢- دار الحديث الفاضلية(٢٤٥) : واقفها عبد الرحيم بن علي القاضي الفاضل، و أوقافها مزرعة برتايا لصيق أرض حمُّرية، يفصل بينهما النهر(٢٤٦)، ٣- المدرسة الأكزية (٢٤٧): واقفها أسد الدين أكز حاجب نور الدين محمود زنكي، أوقافها دكانٌ في شرقها، و الثلث من طاحون اللون، و ذكر مرسوماً على عتبة باب ما صورته التالية بعد البسملة : << وقف هذه المدرسة على أصحاب الإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي ، الأمير أسد الدين أكز في سنة ست و ثمانين و خمسمائة، و تمت عمارتها في أيام الملك الناصر صلاح الدين و الدنيا، و منقذ بيت المقدس من المشركين، أبي المظفر يوسف بن أبي محي الدولة أمير المؤمنين، الدكان التي شرقيها وقف عليها، و الثلث من طاحون اللون سنة سبع و ثمانين و خمسمائة>>(٢٤٨)، ٤- المدرسة الدولعية(٢٤٩) : واقفها جمال الدين بن محمد بن أبي الفضل الدولعي(٢٥٠)، و قد أوقف على بانيها أوقافاً بينها جميع بياض البستان خارج الباب الشرقي بالدولعية، و حقلة الوادي التحتاني، و محاكرات ابن

الصبح، و حصة بطاحون الزلف بالوادي التحتاني و غير ذلك(٢٥١)، ٥- المدرسة العمادية(٢٥٢) : اختلف في واقفها و من أوقافها حانوت بجوار المدرسة، و علو طبقة، و محاكرة المزرعة المعروفة بالعمادية بقصر اللباد و تعرف بالدماغية، و محاكرة الجنينة، و محاكرة كلٌّ من ثلاثة من الديار، ومحاكرة حوانيت قد ذكر أسماء أصحابها(٢٥٣)، ٦- المدرسة الريحانية(٢٥٤) : واقفها هو جمال الدين ريحان بن عبدالله الطواشي(٢٥٥) خادم نور الدين محمود زنكي، الذي أوقفها على الفقهاء الحنفية، وقف عليها جميع البساتين الخراجي المعروف بأرض الحواري، و الأرض المعروفة بدف العناب، و القرماوي بأرض القطائع، و الجورتين : البرانية و الجوانية بأرض الخامس، و النصف و الثلث من الريحانية، و من الإسطبل المعروف بعمارية ببستان بقر الوحش و ذلك سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م(٢٥٦)، ٧- المدرسة الزنجارية(٢٥٧) : واقفها عز الدين عثمان الزنجبيلي(٢٥٨) صاحب عدن، و أوقف عليها حانوتان جوارها، و لها طاحونان بالقرب منها، و بجوار الطاحون حانوت(٢٥٩)، ٨- المدرسة الضيائية (٢٦٠): واقفها محمد بن عبد الواحد السعدي المقدسي، أوقف عليها كتبه و أجزائه، و أوقف على المدرسة غالب دكاكين السوق الفوقاني، و حوانيت و جنينة في النيرب، و أرض بسقبا و يؤخذ لأهلها ثلث قمح الضياع وقف دار الحديث بالأشرفية، و بالجبل الدير و الدوير و المنصورة و التليلو الشرقية(٢٦١)، ٩- المدرسة الشامية البرانية (٢٦٢): واقفتها الخاتون(٢٦٣) ست الشام زمرد بنت أيوب، أخت الناصر صلاح الدين الأيوبي، و من أوقافها : السلطاني و هو قدر فدان وحده، و من قناة الريحانية إلى أوائل القبيبات إلى قناة حجيرا أو درب البويضاء و منه الوادي التحتاني المسمَّى وادي السفرجل و قدره نحو عشرون فداناً، و منه بستان الصاحب غربي المصلَّى، و منه ثلاثمائة من الكروم و لها من الأفدنة، و منه طاحون السلام، و حكورة متعددة، و غير ذلك من الأوقاف التي لم يبق لها منها سوى رسمها في الكتب، و قد أصبح القسم الموجود من المدرسة عبارة عن مسجدها، و بركة كبيرة للماء في ساحتها، و بعض حجرات فوقانية متروكة، و مراحيض، و جرى عليها بعض الترميم، و المئذنة سميَّت على اسم ست الشام، و تميزت المدرسة بأنها خالية من الزخارف و النقوش و الكتابات و المقرنصات(٢٦٤)، ١٠- المدرسة الشامية الجوانية(٢٦٥) : واقفتها أيضاً ست الشام كانت داراً لها فجعلتها مدرسة، و أوقفتها على الفقهاء الشافعية، و أوقفت عليها و عليهم : جميع القرى المعروفة بمرينة، و جميع الحصة، و هي أحد عشر سهماً و نصف كم أربعة و عشرين سهماً، من جميع المزرعة المعروفة بجرمانا، و جميع الحصة، و هي أربعة عشر سهماً و سبعٌ من أربعة و عشرين سهماً، من القرية بالثنيَّة، و نصف القرية المعروفة بمجيدل القرية، ز الباقي من الأوقاف، على مصالح المدرسة، و على الفقهاء و المتفقهة المشتغلين بها، و على الدرس قاضي القضاة زكي الدين، أو من يوجد من نسله ممن له أهلية التدريس، و على الإمام المصلي بالمحراب بها، و المؤذن بها، و القيَّم المعد لكنسها و فرشها و تنظيفها ز إيقاد مصابيحها، يبدأ عمارة المدرسة، و ثمن زيت و مصابيح لا حصر لها و حصر و بسط و قناديل شمع، و ما تدعو الحاجة إليه(٢٦٦)، ١١- المدرسة العمرية(٢٦٧) : واقفها الشيخ أبو عمر المقدسي(٢٦٨) الزاهد الكبير و كان من الأولياء، و أوقافها كثيرة لا حصر لها و قلَّ أن تمضي سنة إلا و يصير إليها وقفٌ جديد و كانت هذه الأوقاف تشمل كل أنواع البر و من جملتها : العشر من البقاع، و المرتب على داريا من القمح ستون غرارة دكاكين تحت قلعة دمشق، و من الدراهم آلافٌ للغنم في شهر رمضان، و من مصالحها الخبر لكلِّ نازلٍ فيها رغيفان فيفرق فيها ألف رغيفٍ في كلِّ يوم و هو مستمرٌ كلَّ سنة، و قمصان و سراويل و فراءٌ لكلِّ نازل، و حصر لبيوت المجاورين و صابون و ختان للفقراء و الأيتام النازلين فيها ثمَّ انقطع هذا، و سخانة يسخن فيها الماء في الشتاء و كعك و مشبك في ليلة العشرين من رمضان مستمر، و كنافة ليلة العشر الأول من رمضان ثمَّ نقلت إلى النصف مستمرة، و قنديلٌ يضاء طوال الليل في مقصورة المدرسة مستمر، و حلاوة الموسم في شهر رجب، و لوزية و جوزية في النصف من شعبان، و أضحية عيد الأضحى، و طعامٌ و حامضٌ و هريسةٌ و رزٌ و حلو(٢٦٩)، ١٢- المدرسة

الصاحبة(٢٧٠) : واقفتها ربيعة خاتون الصاحبة أخت صلاح الدين الأيوبي و أوقافها : غالب قرية جبة عسال، و البستان تحت المدرسة، و الطاحون، و حكورة غالب تلك الحارة في جوارها(٢٧١).

و هناك مدارسٌ أخرى لكنها أقل أهمية من تلك التي ذكرت و هي : المدرسة التقوية، و المدرسة العذراوية، و المدرسة العزيزية، و المدرسة الخاتونية الجوانية، و المدرسة العزيّة و المدرسة الفروخشاهية و المدرسة القيمازية و المدرسة الإقبالية، و المدرسة المقدمية الجوانية و المدرسة الظاهرية البرانية، المدرسة الجهاركسية، و يتضح من كثرة تلك المدارس أن دمشق قد أسهمت في الحركة العلمية و ازدهرت في عهد صلاح الدين الأيوبي(٢٧٢)، كثرت في دمشق الرباطات : و هي عبارة عن بيوت للعبادة ينقطع فيها الزهاد لمباشرة حياتهم الخاصة وفق قواعد، و لم تقتصر على الرجال و كذلك النساء اللواتي التزمن فيها بالعبادة و الزهد، و قد جعلت الرباطات النسائية للمطلقات و الأرامل حتى يتزوجن أو يرجعن إلى أزواجهن، و قد أوقف صلاح الدين الأيوبي داره رباطاً للصوفية بحارة قطامش جوار قيساريَّة القصاع، و إليها يجري الماء من حمام نور الدين محمود زنكي(٢٧٣)، أما الخوانق : و هي زوايا للصوفية(٢٧٤) التي اهتم صلاح الدين ببنائها و رتب للفقراء الواردين أرزاقاً معلومة(٢٧٥) و أهم الخانقاوات : الخانقاه الحسامية و الخانقاه الخاتونية و الخانقاه الشبلية و الخانقاه الناصرية الجوانية، و من دور الصوفية أيضاً الزوايا : و هي أماكن معدَّة للأفعال الصالحة و للعبادة(٢٧٦)، و هي شبيهة للخوانق و الرباطات و أهم الزوايا في عهد صلاح الدين الزاوية الفرنثية(٢٧٧)، و انتشرت عمارة الترب بدمشق في العهد الأيوبي انتشاراً واسعاً، و صارت مشيداتها أضخم من مشيدات الترب السلجوقية، لكنها اتصفت بالتقشف الزخرفي بسبب الحروب الصليبية التي خاضتها آنذاك، كما تميزت بالزهد التزييني، و انحصرت زخارفها تبعاً لذلك في البوابات أو في المحاريب و المنابر، و انخفض ارتفاع الأقواس العاتقة فوق الأبواب و النوافذ، و ظهرت لأول مرة تيجان الأعمدة المقرنصة، و المداميك المزرَّرة، و المقرنصات في عقود البوابات ، و استخدمت المداميك الحجرية البلقاء في الواجهات قبل أن تنتشر بشكل أوسع في العصر المملوكي، كما ظهرت أيضاً القبة المحززة، و الرقبة المضلعة بطبقة أو طبقتين، و الحنايا المظلية في مقرنصات الواجهات(٢٧٨) ، فقد بنى الكثير من ذوات دمشق الترب الخاصة بهم و دفن أصحابها بها، و جعلوا لها جهات و صدقات، و ليس المراد بها العمومية(٢٧٩)، و أشهر الترب في دمشق في عهد صلاح الدين الأيوبي : التربة الأرسلانية، و التربية الخاتونية، و التربة العمادية، و تربة بمسجد القدم و التربة القراجية الصلاحية الأولى، و التربة الكندية و التربة النجمية.

و انتشرت السبل في دمشق و هي موضعٌ لساقية العابرين و هو نوعٌ من أعمال الخير و الصدقة، و تتألف هذه السبل من صهريجٍ يوضع تحت الأرض يملأ بالماء عن طريق الأنهار و القنى المنتشرة في أنحاء دمشق، و التي أوقفت عليها الأوقاف المعينة، ينفق منها على صيانتها و فوق هذا الصهريج غطاء من الرخام و الحجر أطلق عليه اسم خزره، و ربما كانت السقاية فوق بئر ثمَّ فوقها لتوزيع الماء على الراغبين في الشرب، و يقوم الساقي أو المزملاتي برفع الماء من الصهريج أو البئر فيجري الماء في نوافذ ربطت بقضبانها كيزان بواسطة سلاسل، ليتمكَّن بواسطتها طالب الماء من الحصول على حاجته، و قد وضعت لهذه السقايات أنظمة ثابتة تتضمن سلامة صحة الساقي و نظافة الكيزان المستخدمة للشرب، و تحديد أوقات العمل فيها، و تزويد الخزانات المقمة عليها بالماء، و قد امتدت العناية بتوفير ماء الشرب لتشمل الدواب الذي كان اعتماد الناس عليها في الحل و الترحال، فأنشئت لها أحواضٌ لتشرب منها(٢٨٠)، و كانت هناك أوقافٌ لإمداد الأمهات المرضعات بالحليب و السكر، و يذكر المؤرخون بإعجابٍ شديد، في محاسن صلاح الدين الأيوبي أنه جعل في أحد أبواب دمشق ميزاباً يسيل منه الحليب، و ميزاباً يسيل منه الماء المحلَّى بالسكر، حيث تأتي إليها الأمهات المرضعات في كلِّ أسبوع ليأخذن أطفالهن ما يحتاجون إليه من الحليب و السكر(٢٨١).

عمل صلاح الدين الأيوبي في دمشق على تنشيط حركة البيمارستانات، و ذلك من خلال إيقافهم الأوقاف الوفيرة، التي تساعد في تأمين متطلباتها، كما اهتموا بالعاملين فيها، فخصصوا الجامكيات ((الرواتب)) الوفيرة للعاملين بها من الأطباء و الصيادلة و الخدم، و عدَّت البمارستانات مكاناً لعلاج الفقراء دون مقابل، و قد شاركهم الأغنياء في ذلك و في كثيرٍ من الحالات أعفي هؤلاء من دفع نفقات العلاج (٢٨٢)، و يتألف البيمارستان من قسمين : خصص أحدهما لمعالجة المرضى من الرجال، و خصص الآخر للمرضى النساء، و المكان مجهزٌ بالأدوات الطبية، و الأطباء و الصيادلة و الخدم و الفراشين و مشرفين من الرجال و النساء، و كلُّ قسمٍ من البمارستان مخصصُ لنوعٍ من الأمراض، كالأمراض الباطنية، و الجراحية، و الكحالة، و التجبير، و غير ذلك من الأمراض، و هناك قاعة لإعداد طعام المرضى و بيتاً للبواب، و كانت الأدوية توزع على الخارجين من البيمارستان كلَّ يوم اثنين وخميس و في كلِّ يومٍ للمرضى به من الرجال و النساء(٢٨٣)، و من حظي من الأطباء في دمشق لدى صلاح الدين الأيوبي، مهذب الدين بن النقاش (ت٥٧٤هـ/١١٧٨م)(٢٨٤)، و الشريف الكحال (ت٥٩٠هـ/١١٩٣م) (٢٨٥)، و جدت أوقافُ لرعاية الحيوانات و الحفاظ عليها من الانقراض، و الإكرام لها يتوافق مع التوجيهات الدينية لذلك، و هو سبقٌ حضاري لم تعرفه الأمم قبل الإسلام، فهناك أوقاف خاصة لمعالجة الطيور، و أوقاف لعلاج الحيوانات المريضة و أخرى لإطعام الكلاب الضالة، و في دمشق أيضاً، وقف للقطط الضالة يطعمها و يسقيها، و للكلاب الشاردة المريضة يداويها، يسمي العامة الأولى مدرسة القطط و هي في حي القيمرية، و الثانية تسمَّى بمحكمة الكلاب في حي العمارة(٢٨٦).

انتشرت المساجد و الجوامع في دمشق في عهد صلاح الدين الأيوبي، و هذا دليلٌ على اهتمام أهلها بالدين، و كثرة المصلين، و يعدُّ الجامع الأموي في دمشق أعظم و أهم جوامع دمشق، و في سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م احترقت مئذنة العروس و بجانبها مدرسة الكلاسة فأمر صلاح الدين بتجديد بنائها، و جعل عليه أبا الفتح ابن العميد؛ فجددها و اتقن بنائها(٢٨٧)، و أوقف على الجامع الأموي أوقافاً من الأملاك الدَّارة و التي خدمت النواحي البيئية الطبيعية و الاجتماعية و الفكرية، فقد أوقف عليه كثيرٌ من الأراضي و المزارع(٢٨٨)، و أمر صلاح الدين ببناء جامع الجراح خارج باب الصغير و بناء مئذنته سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م، و كان من قبل مسجداً للجنائز كبيراً، وفيه بئرٌ، فلمَّا خرب جدده جراح المضحي(٢٨٩)، و منذ ما دخل صلاح الدين المدينة كانت زاخرة بالمساجد و التي ذكرها ابن عساكر في كتابه تاريخ دمشق و الذي توفي بعد سنةٍ من دخول صلاح الدين دمشق، و أهمها : << مسجدٌ معلق يعرف بمسجد السَّقطين، مسجد ابن طغان بالفسقان حذاء درب القطاعين، مسجد الصحابي أيمن بن خُريم بن فاتك الأسدي، مسجد عند درب الخياط الكاتب، مسجد القلانسيين في سوق السراجين، مسجد الرماحين، مسجد في سويقة باب الصغير، مسجد في السوق الكبير يعرف بمسجد الزينبي، مسجد الطباخين، مسجد عند رأس الجبن ملاصق للحمام، مسجد معلَّق يعرف بمسجد سوق اللؤلؤ كبير، مسجد دار البطيخ المعلَّق، مسجد ملاصق لكنيسة اليهود على النهر، مسجد صدقة الملاصق لكنيسة مريم، مسجد الثلاج في سوق كنيسة مرين، مسجد عند دار محمد بن القلانسي في درب الشجون، مسجد كبير في درب البلاغة، كان قديماً كنيسة لليهود ثمَّ جعل مسجداً و يعرف اليوم بمسجد ابن الشهروزي....الخ>>(٢٩٠)، و زاد ابن شداد الحلبي في الأعلاق الخطيرة من المساجد التي بربى و ظاهر دمشق مما ليس في قريةٍ مسكونة أو معمورة بجهاتها الأربع فبدأ بجهة القبلة(٢٩١)، و ذكر النعيمي في كتابه الدارس في تاريخ المدارس، عن قائمةٍ تحتوي على خمسمائة و ثمان و ثمانين مسجداً في دمشق، أغلبها كان قائماً على الوقف، و بكلِّ منها إمام و مؤذنٌ راتب(٢٩٢) ، و تميزت عمارة المآذن في العصر الأيوبي بخصائصٍ هي أقرب للتقشف منها إلى البذخ، فالجذع مربع أموي الطراز، بسيط البناء، خالٍ من الزخارف و التزينات(٢٩٣).

اشتهرت بلاد الشام بكثرة حماماتها و جمالها في العصور الوسطى، و خاصة في دمشق لوفرة مائها و جودة الصابون فيها، فضلاً عن شهرتها بالعطور الممتازة، و كلها من مستلزمات الحمام، و ذكر ابن عساكر حمامات دمشق و كلُّمنها منسوب إلى الجهة أو الفئة التي يقع فيها الحمام في حيها أو يخدم أفرادها، و بعض هذه الحمامات بني على الآبار في حين كان الماء يساق إلى البعض الآخر، و لم يوجد ما يحول دون وقف بعض الحمامات في بلاد الشام على المدارس و قراءة القرآن(٢٩٤)، و أحصى ابن عساكر في دمشق بسبعة و خمسين حماماً (٢٩٥)في حين أحصاها ابن جبير بمائة حمام(٢٩٦)، و احتوت الحمامات من إبداعٍ في الفن الأنيق المترف، من نقوشٍ و زخارف وينت بها الأرض و الجدران، و توجد المقرنصات في زوايا الجدران و عقود الأبواب، و زجاج النوافذ ملونة بشكلٍ يتصل بعضها ببعض بواسطة أضلاع خشبية معقودة على نمط الخط العربي بإشكالٍ هندسية بديعة التكوين و تقسم الحمامات العامة إلى ثلاثة أقسام : ١- البراني : و هو عبارة عن باحة مسقوفة بعقود تتلاقى في قبة تصطف في جوانبها النوافذ الملونة بالزجاج و في أعلاها رقبة ترتفع مشكِّلةً ما يشبه المنور أو البرج، مؤلف من مجموعة نوافذ تجتمع لتكون ختمة القبة و يتخذ البراني شكلاً رباعياً تنتصب وسطه بحرة من الرخام الملون المجموع على أشكالٍ هندسية بديعة و في وسطها نافورة تنطلق منها المياه إلى الأعلى لتعود على شكل رذاذ ينشر الرطوبة في البراني، أما الأرض فمرصوفة بحجارة مصقولة وردية بإشكال بديعة و قد تتخللها تشكيلات بديعة من الرخام خالية من الرسوم الهندسية، و الجدران زينت بالرسوم و الصور و السجاد و الآيات القرآنية و الحكم و المرايا و الثريات و عبارات الترحيب و التبريك للزبائن، و هي بصورة عامة مؤلفة من أقواس حجرية تستند علبيها القبة، و تحت كل قوس مسطبة فرشت بأرائك و مساند محشوة بالقش أو القطن، و قد غلفت بالكتان و من ثمَّ الدامسكو المطرز بالرسوم الجميلة، و على هذه المساطب يخلع الزبائن البستهم أو يستريحون بعد استحمامهم، ٢- الوسطاني : يدخل إليه عن طريق باب في البراني يؤدي دهليز تقع في ركنٍ منه أماكن الراحة ((المراحيض)) و تنتقل منه إلى بهو يسمَّى الوسطاني الأول و يله الوسطاني الثاني و الثالث ، ٣- الجواني : و هو القسم الداخلي من الحمام و يتألف أيضاً من ممشى أوسط يسمَّى بيت النار و هو أشد حرارة من الوسطاني و على جانبيه إيوانان تتصدرهما الأجران التي تتدفق إليها المياه الحارة و الباردة، و من حولهما مجاري المياه الفائضة، و على جانبي كلِّ إيوان و في صدره تنفتح أبواب ذات أقواس معقودة من الآجر أو الح مزينة بنقوشٍ من الجص، و تؤدي هذه الأبواب إلى المقاصير و تتألف من غر ف فيها جرن أو أكثر يتسع كل جرن لأربعة أشخاص(٢٩٧)، و في الحمام كانت تتم عملية معاينة العروس المرشحة للزواج عارية تماماً للتأكد من خلو جسمها من العيوب، و قبل الزفاف كان يحتفل احتفالاً كبيراً بدخول العروس من ناحية و العريس من ناحيةٍ أخرى إلى الحمام، و إذا دخل المريض الحمام كان ذلك إعلاناً لشفائه فيقام حفل في هذه المناسبة و يقبل عليه المهنئون للتهنئة، هذا كله بالإضافة إلى ما كان يتم في الحمامات من لقاءات بين نساء المدينة الواحدة حيث يتم تبادل الأخبار و الأحاديث، و تتباهى كلٌّ منهن بما أوتيت من جمالٍ و ما توافر لها من حلى، بعد أن تقوم البلانة بتحفيفها و إبرازها في أحسن صورة(٢٩٨)، و الأمر اللافت للنظر، هو مدى إعجاب الراهبات اللاتينيات الكاثولكيات و المرأة اللاتينية بشكلٍ عام بالحمامات الشرقية لنظافتها و لرسالتها الصحية و الاجتماعية، و نظراً لكثرة تردد الراهبات، فقد احتج أسقف عكا للاتين الكاثوليك جاك دي فيتري على الراهبات لخروجهن من الأديرة مخالفاتٍ بذلك أنظمة حياتهم ليذهبن إلى الحمامات العامة و حضورهن مع عامة الناس أيضاً فيقول:<< ليس فقط الرهبان هم الذين لم يطيعوا رؤساءهم، بل الراهبات فعلن الشيء نفسه، حيث ألقين جانباً من الالتزام بالنظام ، و خرجن من عزلتهن، و ترددن بشكلٍ لا ديني على الحمامات العامة برفقة أشخاصٍ مدنيين>>(٢٩٩)، و هاجم جاك دفتري البوليان Pullani أو الأفراخ وهم نشأوا من زيجاتٍ مختلطة فقد غلبت عليهم طبائع أهل الشرق و منها الغيرة على زوجاتهم، و التي لم يعتد عليها الأوروبيون، و قد اعتادوا على ارتياد

الحمامات أكثر من خوضهم للمعارك، و أن الأزواج <<يسمحون لزوجاتهم بالذهاب ثلاث مرات في الأسبوع إلى الحمام تحت حراسة مشددة>>(٣٠٠).

أما النصارى في دمشق فلم يكن لهم أوقافاً غير دكاكينهم، و كنائسهم ، و الأراضي الموقوفة على الأديرة كدير سيدة الشاغورة في صيدنايا للروم الملكيين الأرثوذكس(٣٠١)، و أوقاف اليهود كانت محبوسة على جهاتٍ خيرية، كالبيع و الكنس، أو أهلية تخص أبنائهم، و لليهود في دمشق ثلاث كنس، كنيس في حارة اليهود، و كنيس في قرية جوبر، و كنيس في حارة الزيتون للقرائيين(٣٠٢)، و كنائس النصارى في دمشق ذكرها ابن عساكر بخمسة عشرة كنيسة، و لكن ابن عساكر في الرقم الخامس عشر، جمع بين كنيستي العباد في الرقم عينه، فيكون المجموع ستة عشر كنيسة، غير أنه تجاهل كنيسة القديس حنانيا و كنيسة القديس جاورجيوس، و كنيسة يهوذا، و كنيسة الجنيق(٣٠٣)، و أهم الكنائس الموجودة في عهد صلاح الدين الأيوبي : ١- كنيسة مريم ((المريمية)) : تعد من أكبر الكنائس بعد الفتح الإسلامي، و موقع مطرانية الروم المكيين الأرثوذكس، نسبت الكنيسة إلى السيدة مريم العذراء، و يصفها ابن جبير قائلاً : << و في داخل البلد كنيسة لها عند الروم شأنُ عظيم، تعرف بكنيسة مريم، ليس بعد ليت المقدس عندهم أفضل منها، و هي حفيلة البناء، تتضمن من التصاوير أمراً عجيباً تبهت الأفكار، و تستوقف الأفكار، و مرآها عجيب، و هي بأيدي الروم، و لا اعتراض عليهم فيها>>(٣٠٤)، ٢- كنيسة اليهود : ليست لليهود بل تقع في حي يسكنه اليهود شرقي المدينة، ٣- كنيسة حُميد بن دُرة : تقع شمالي غربي الكنيسة المريمية، و كانت وقف للملكيين الأرثوذكس، ٤- الكنيسة اليعقوبية : تقع غربي باب توما، و كانت وقفاً للسريان اليعاقبة الأرثوذكس، ٥- الكنيسة المصلَّبة : تقع بين الباب الشرقي و باب توما، و يفهم من ابن عساكر أنها كنيسة القديس حنانيًا في شرقي المدينة، ٦- كنيسة القديسين سرجيوس و باخوس : و هي مركز المطرانية للسريان اليعاقبة الأرثوذكس، بقرب باب الشرقي، و هناك مركز آخر لمطرانية السريان اليعاقبة الأرثوذكس كنيسة بالقرب من الباب الشرقي محلَّة حنانيا(٣٠٥).

و أخيراً و بعد هذه الدراسة عن دمشق في عند صلاح الدين الأيوبي يتضح ازدهارها بعد ما استولى عليها إثر الاضطراب الذي أصابها حين وفاة نور الدين محمود، و اتصف أهل دمشق بالكرم و الدماثة، و حبهم للعلم و الدين، فكثرت المنشآت الدنية و العلمية و الاجتماعية، و أحب صلاح الدين و آل بيته مدينة دمشق، لهوائها و خصوبة تربتها، و وفرة مياهها و ثمارها و رائحة رياحينها العقبة، فسمَّت بالفيحاء و تسامح صلاح الدين مع أهل الذمة من اليهود و النصارى، و قد ساعده الأرثوذكس من ملكيين و يعاقبة في حروبه ضدَّ الفرنجة، و خصوصاً عند تحريره لبيت المقدس سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، و على ما يبدو أن نصارى دمشق كانوا من المرحبين به أثناء دخوله إليها، ، و انطلقت من دمشق جيوش المسلمين للقضاء على إمارات الفرنجة و تحرير كلِّ شبر قد احتل من قبلهم، و غدت دمشق من أهم مدن المشرق في عهد صلاح الدين الأيوبي في جميع المجالات، حيث شكَّلت منعطفاً تاريخياً يدعو للاهتمام بها و كشف مغاليقها.

مصادر البحث

(الحلقة الثانية)

(١٥١) حسان حلاق : المرجع السابق ص٢٠٧.

(١٥٢) الإدريسي :نزهة المشتاق في اختراق الآفاق نشر دوزي و دى غويه، ليدن ١٨٩٣ جـ١ ص٣٦٦.

(١٥٣) ذكر القلقشندي أهم مزروعات دمشق و رياحينها قائلاً :<<أما زروعه فغالبها على المطر، و منها ما هو سقي الأنهار و هو قليل، و فيها من الحبوب كلُّ ما يوجد في مصر، من البر و الشعير و الذرة، و البقلاء((الفول)) و البسلة((البازيلاء)) و الجُلبان و الحلبة، و السمسم و القرطم((العصفر))، و لا يوجد فيه الكتان و البرسيم، و به أنواع البطيخ و القثاء ما يستطاب و يستحسن، و كذلك غيرها من المزروعات كالقلقاس و

الملوخيًا، و الباذنجان و اللفت، و الجزر، و الهليون، و القُنَّبيط، و الرَّجلة ((البقلة الحمقاء يؤكل ورقها مطبوخاً و نيّئاً)) و البقلة اليمانية، و غير ذلك من أنواع الخضار المأكولة؛ و قصب السكر في أغواره غير أنه لم يبلغ في الكثير حدَّ مصر>>/ القلقشندي : المصدر السابق جـ٤ ص٩٠.

(١٥٤) كلود كاهن : تاريخ العرب و الشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية دار الحقيقة ترجمة بدر الدين القاسم ط١ بيروت ١٩٧٢ جـ١ ص١٧٤.

(١٥٥) أبو البقاء البدري : المصدر السابق ص١٥٩-ص١٦٧-١٦٧-ص١٨٣-ص١٨٤.

(١٥٦) أشهر أصناف المشمش هي : الحموي – السنداياني – العربيلي – اللوزي – الأويسي- الخراساني – كافوري – البعلبكي- اللُّقيس- الدغمشي – الوزيري – الكلابي – السلطاني – الحازمي – إيدمري- السنيني – بردى – ملوح – فراط – النجاتي – جلاجل القوع / أبو البقاء البدري : المصدر نفسه ص١١٣.

ابن شداد : المصدر السابق ص٨٨.

(١٥٨) أشهر أصناف التفاح هي : السكري – المسكي – الفتحي – الصيني – الشتوي – البلدي – الصيفي – القاسمي – الفاطمي – القحابي- الفضي – الحديثي – الجناني- الحرستاني – اللبناني – الدهشاوي – الأخلاطي- البربري – النبطي – الماوردي – البطخي – المجهول / أبو البقاء البدري : المصدر نفسه ص١٢٠.

(١٥٩) أحمد الأوتاني : المرجع السابق ص٢١٣-ص٢١٤.

(١٦٠) أشهر أصناف الدراق هي : الخواجكي – الرصاصي – الحمصي – النيرباني – اللوزي – اللزيق – اللقيس – الكلابي – الصالحي – الختمي – المظفري – المسافري- الصوري – الزهري- لحم الجمل – مجهول / أبو البقاء البدري : المصدر نفسه ص١٢٤.

(١٦١) أشهر أصناف الإجاص هي : الصيفي – الزجاجي – القبرصي – الأسود – عين البقر – خوخ الدب – خوخ الطعام – الأغبر – الشقير – الجايكي – البرقوق – مجهول – البزرة / أبو البقاء البدري : المصدر نفسه ص١٢٦.

(١٦٢) أشهر أصناف السفرجل هي :البرزي – الصبي – السالمي – الصيني – الرقي- العباسي – التفاحي – أبو فروة – مجهول/ أبو البقاء البدري : المصدر نفسه ص١٥٠.

(١٦٣) أشهر أصناف التوت هي : المحسني – البندقي – العجمي – المخصب – القرشي – الحراديني – الشامي و هو الأسود / أبو البقاء البدري : المصدر نفسه ص١٨٩.

(١٦٤) أشهر أصناف اللوز اثنين هي : اللوز الأبيض – اللوز الأحمر و ثمرته مرة/ أبو البقاء البدري : المصدر نفسه ص١٤٠.

(١٦٥) أشهر أصناف كروم العنب هي : البلدي – الخناصري – العاصمي – الزيني – البيتموني – القناديلي – الإفرنجي – المكاحلي – بيض الحمام – الحلواني – البوارشي- الجبلي – الصيف – بزاز الكلبة – القشلميش – الكوتاني – العبيدي – الشحماني – الجوزاني – مخ العصفور – العرايشي – الرومي – الشبيهي – النيطاني – العصيري – الرناطي – ورق الطير – السماقي – الحريصي – المجزع – الشعراوي – الدربلي – القاري – العلوي – العيوني – المورق – المشعر – المسمط – المرصص- المحضر- المقوس – الحمادي – التفاحي – الرهباني – الزردي – المبرد – المخصل – المغاربي – شحمة القرظ/ أبو البقاء البدري : المصدر السابق ص١٣٣.

(١٦٦) أشهر أصناف التين هي : المزي – البرزي – الماسوني – الرومي – البعلبكي – كعب الغزال – الغريب – طيفور – الشتوي – الجبلي – الحفيراني – الملكي – العسيلي – المكتَّب – المجهول – ورق الطير/ أبو البقاء البدري : المصدر نفسه ص١٥٧.

(١٦٧) أشهر أصناف الرُّمان هي : الشويكي – البردي – الماوردي – المليسي – الكوفي – البرجنيقي – السحاقي – الشويخي – المصري – السلطاني – المحجر – المطوق – التدمري – اللقيط – الحصوي – الطقاطقي – القطى – المشبه – حامض للطعام – اللفان – رأس البغل – مجهول/ أبو البقاء البدري : المصدر نفسه ص ١٢٨.

(١٦٨) أشهر أصناف الجوز هي : المغاربي – الفرك – المنيني – الجبلي – البستاني/ أبو البقاء البدري : المصدر نفسه ص٢٠٥.

(١٦٩) أشهر أصناف الفستق هي : الشامي / أبو البقاء البدري : المصدر نفسه ص١٨٦.

(١٧٠) أشهر أصناف البطيخ هي : الداراني – المرجي – الدومي – الحبشي – القبلي – العواميدي ((النمُوس))/ / أبو البقاء البدري : المصدر نفسه ص١٣٣.

(١٧١) أبو البقاء البدري : المصدر نفسه ص٦١.

(١٧٢) أبو البقاء البدري : المصدر نفسه ص٧١-ص٨٧.

(١٧٣) أبو البقاء البدري : المصدر نفسه ص٤٥.

(١٧٤) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ص٣٨.

(١٧٥) الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق دار الكتب العلمية ط١ بيروت ٢٠٠٤ ص٢١٤.

(١٧٦) أبو شامة : المصدر السابق جـ ١ ص٢٩٦–ص٢٩٧.

(١٧٧) ابن شداد : المصدر السابق ص١٨٢.

(١٧٨) أحمد الأوتاني : المرجع السابق ص٢٢٨.

(١٧٩) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع نفسه ص٣٩–ص٤٠.

(١٨٠) أحمد الأوتاني : المرجع نفسه ص٢٢٨.

(١٨١) حسان حلاق : المرجع السابق ص٢٠٨.

(١٨٢) الإدريسي : المصدر السابق جـ١ ص٣٦٩.

(١٨٣) صفوح الخير : مدينة دمشق دراسة جغرافية المدن وزارة الثقافة السورية ط١ دمشق ص٣٤٨–ص٣٤٩.

(١٨٤) ياقوت الحموي : المصدر السابق جـ١ ص٢٢٢/ القلقشندي : المصدر السابق جـ٤ ص٨/ محمد كرد علي : المرجع السابق جـ٤ ص٢٠٠–ص٢٠٣.

(١٨٥) القلقشندي : المصدر السابق جـ٤ ص٨.

(١٨٦) أحمد الأوتاني : المرجع السابق ص٢٤٩.

(١٨٧) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة دي غويه ليدن ١٩٠٦ ص١٧٤–١٨٤/ابن شداد الحلبي : ألأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة تحقيق سامي الدهان المعهد الفرنسي للدراسات العربية ط١ دمشق ١٩٥٦ ص١٥٢–ص١٥٣.

(١٨٨) منير كيال : فنون و صناعات و تقاليدها مكتبة العلمي المعهد الفرنسي ط١ دمشق ١٩٦٢ ٥٤/ الكوسات : جمع كوس و تعني الطبل، مصطلح كان يطلق في العهد المملوكي للدلالة على نوعٍ من الطبول المستعملة في النوبة، و هي إحدى محتويات الطبلخانه/حسان حلاق، عباس صباغ : المعجم الجامع في المصطلحات العثمانية ذات الأصول العربية و الفارسية و التركية و الأيوبية و المملوكية جار النهضةط١ بيروت ٢٠٠٩ ص١٩٤.

(١٨٩) الأب متري هاجي أثناسيو : موسوعة كنائس دمشق كنائس حي الميدان دار صادر ط١ جونية ٢٠٠٤ جـ٢ ص١٠٨–ص١١٠.

(١٩٠)) أحمد الأوتاني : المرجع نفسه ص٢٥٥.

(١٩١) منير كيال : المرجع نفسه ص١٣٤.

(١٩٢) أحمد الأوتاني : المرجع نفسه ص٢٥٧.

(١٩٣) محمد زيود : حالة بلاد الشام الاقتصادية منذ العهد الطولوني حتى نهاية العصر الفاطمي دار حسان للطباعة و النشر ط١ دمشق ١٩٨٧ ص٣٣٣.

(١٩٤) محمد كرد علي: المرجع السابق جـ٤ ص٢٢٠–ص٢٢١/ منير كيال : المرجع نفسه ص٦٤.

(١٩٥) أحمد الأوتاني : المرجع نفسه ص٢٥٩.

(١٩٦) أبو شامة : المصدر السابق جـ٣ ص٢٥٤.

(١٩٧) محمد كرد علي: المرجع نفسه جـ٤ ص٢٠٦/ أحمد الأوتاني : المرجع نفسه ص٢٦١.

(١٩٨) محمد كرد علي: المرجع السابق جـ٤ ص١٥٧.

(١٩٩) لودولف فون سوخم : المصدر السابق جـ٣٩ ص٣٨٢.

(٢٠٠) الشيزري : المصدر السابق ص٢٣.

(٢٠١) دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية دار النهضة العربية ط١ بيروت ١٩٩٩ ص٧٤/ أحمد الأوتاني : المرجع السابق ص٢٦٥.

(٢٠٢) القاسمي : قاموس الصناعات الشامية تحقيق ظاهر القاسمي نشر موتون و شركاه ط١ باريس/لاهاي ١٩٦٠ جـ١ ص٧٢.

(٢٠٣) الجلاب : لفظة فارسية گل – آب تعني ماء الورد/ الجواليقي : المعرب الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق أحمد محمد شاكر القاهرة ١٣٦١ ص١٠٦.

(٢٠٤) أبو شامة : المصدر السابق جـ٣ ص١٨٥/ ابن شداد : المصدر السابق ص١٥٦.

(٢٠٥) الفقاع : شراب مسكِر يتخذ من الشعير، و قد سمي بذلك لما يعلوه من الزبد و الفقاعات/ حسان حلاق، عباس صباغ : المرجع السابق ص١٦٥.

(٢٠٦) ابن عساكر المصدر السابق ص٢٩٦–ص٢٩٩.

(٢٠٧) كفرسوسة : موضعُ جاء في كلام الجاحظ بالشام، و هي من قرى دمشق/ ياقوت الحموي : المصدر السابق جـ٤ ص٤٦٩.

(٢٠٨) أبو البقاء البدري : المصدر السابق ص١٢٧.

(٢٠٩) حسان حلاق : العلاقات الحضارية بين الشرق و الغرب ص٢١١.

(٢١٠) زكي النقاش : العلاقات الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية بين العرب و الفرنجة دار الكتاب اللبناني ١٩٥٨ ص١٨٥–ص١٩٣.

(٢١١) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ص٣٢.

(٢١٢) أبو شامة : المصدر نفسه جـ٢ ص١٥١–ص١٥٢.

(٢١٣) العماد الأصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي تحقيق محمد محمود صبح الدار القومية د.ت القاهرة ص٢١٥–ص١٧–ص٦١٩–ص٦٢٠.

(٢١٤) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع نفسه ص٣٢.

(٢١٥) ابن شداد : المصدر السابق ص١٣٨–ص١٤٠.

(٢١٦) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ص٣٢.

(٢١٧) ابن جبير : المصدر السابق ص٢٧١.

(٢١٨) ابن جبير : المصدر نفسه ص٢٦٠.

(٢١٩) لودولف فون سوخم : المصدر السابق جـ٣٩ ص٣٨٣.

(٢٢٠) المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك دار الكتب العلمية ط١ بيروت ١٩٩٧ جـ١ ص١١٠/ حسان حلاق : المرجع السابق ص٢١٦.

(٢٢١) ابن واصل : المصدر السابق جـ١ ص٢٨٣.

(٢٢٢) ابن جبير : المصدر نفسه ص٢٢٨.

(٢٢٣) ابن جبير : المصدر نفسه ص٢٣٣.

(٢٢٤) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع نفسه ص٣٣.

(٢٢٥) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع نفسه ص٣٣.

(٢٢٦) ابن جبير : المصدر نفسه ص٢٦١.

(٢٢٧) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع نفسه ص٣٣.

(٢٢٨) حسان حلاق : المرجع السابق ص٢٢٢–ص٢٢٣.

(٢٢٩) الفنادق : هو بناءٌ واسع مربع الشكل يشبه الحصن، يتألف من عدَّة طبقات كان ينزل فيه التجار، في الدور الألأرضي المخازن و الحوانيت تطلُّ علة فناء داخلي فسيح، يساعد على الحركة في تعبئة البضائع و تفريغها، و يلحق به اصطبلات الدواب، و خصصت الأدوار العليا للنوم و الراحة/ حسان حلاق، عباس صباغ : المرجع السابق ص١٦٦/ أحمد الأوتاني : المرجع السابق ص٢٨٦.

(٢٣٠) القيساريات : هي أبنية تقوم بمهام الأسواق و هي سابقةٌ في ظهورها للفنادق، و تعرف القيساريات باسم منشئها و باسم ما يباع فيها/ أحمد الأوتاني : المرجع نفسه ص٢٨٨.

(٢٣١) الخانات : هي عبارة عن مبنى ضخم يحتوي على مجموعةٍ من الحوانيت الكبيرة و الصغيرة، و مستودعات للبضائع/ صفوح الخير : المرجع السابق ص١٩٢.

(٢٣٢) الوكالات : هي منشآتٌ تشبه الفنادق بنظامها و وظائفها، و لكنها اختلفت بأمرين اثنين :

الأول : أنها كانت مقتصرة على نزول التجار القادمين من بلاد المشرق الإسلامي، بينما كانت الفنادق مخصصة للتجار الأوروبيين.

الثاني : كانت ملكيتها تنتقل من أصحابها لأبنائهم بعد وفاتهم، و كانت تدعى في بلاد الشام بدار الطعم/ القلقشندي : المصدر السابق جـ٤ ص١٩٣/ محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق دار الفكر العربي ط٢ القاهرة ١٩٦٧ ص١٥٦/ حسان حلاق، عباس صباغ : المرجع السابق ص١٦٦.

(٢٣٣) المتاجر : هي منشآتٌ تجارية مخصصة للحكومة، حيث أن الحكومات كانت تشتري بعض السلع، ثمَّ تبيعها، و تجني الأرباح الطائلة من فروق الشراء و البيع/ ابن مماتي : قوانين الدواوين نشلر و تحقيق د. عزيز سوريال ط١ القاهرة ١٩٤٣ ص٣٢٧.

(٢٣٤) حسان حلاق : المرجع السابق ص٢٢٣.

(٢٣٥) محمد كرد علي: المرجع السابق جـ٥ ص٨٩.

(٢٣٦) ابن جبير : المصدر السابق ص٢٤٨.

(٢٣٧) ابن جبير : المصدر نفسه ص٢٤٨/ حسان حلاق : المرجع نفسه ص٤٠٧/أحمد الأوتاني : المرجع السابق ص٢٣١.

(٢٣٨) ابن جبير : المصدر نفسه ص٢٤٨.

(٢٣٩) كلود كاهن : المرجع السابق جـ١ ص١٧٩–ص١٨٠/ ديوان الأحباس : يهتم هذا الديوان بأراضي الأوقاف التي وقفت على جوانب الخير و الاهتمام بالمنشآت العامة ذات الطابع الديني بصفٍ خاصة مثل المساجد و المدارس/ عصام شبارو : المرجع السابق ص١٩٩.

(٢٤٠) السبكي :معيد النعم و مبيد النقم المكتبة العصرية ط١ بيروت ٢٠٠٧ ص٥٥،ص٥٦.

(٢٤١) أحمد الأوتاني : المرجع السابق ص٣٠٣.

(٢٤٢) حسن شميساني : مدارس دمشق في العصر الأيوبي دار الآفاق الجديدة ط١ بيروت ١٩٨٣ ص٣٣/ عزَّة الرباط : الوقف و البيئة حُجج و أدلة دار الفكر ط١ دمشق ٢٠٠٩ ص١١٥.

(٢٤٣) المدرسة العصرونية : تقع داخل باب الفرج و باب النصر، إلى الشرق من القلعة غربي الجامع الأموي بنحلة حجر الذهب، و إليها تنسب سوق العصرونية/النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس دار الكتب العلمية ط١ بيروت ١٩٩٠ جـ١ ص٣٠٢/ عبد القادر بدران : منادمة الأطلال و مسامرة الخيال المجمع العربي للتأليف و الدراسات و الترجمة ط٢ دمشق ١٩٨٦ ص١٣١/ محمد كرد علي : المرجع السابق جـ٦ ص٨٤/ حسن شميساني : المرجع السابق ص٦٠/ أحمد الأوتاني : المرجع السابق ص٣٨٨.

(٢٤٤) النعيمي : المصدر نفسه جـ١ ص٣٠٢–ص٣٠٣/ابن شداد الحلبي : المصدر السابق ص٢٣٨/ عبد القادر بدران : المرجع نفسه ص١٣١/ حسن شميساني : المرجع نفسه ص٦٠.

(٢٤٥) دار الحديث الفاضلية : تقع في الكلاسة و قد بقي من آثارها الإيوان و قاعتين بجانبه و المطبخ ضمنه / النعيمي : المصدر نفسه جـ١ ص٦٧/ محمد كرد علي : المرجع السابق جـ٦ ص٧٣/ عبد القادر بدران : المرجع السابق ص٤٨/ أحمد الأوتاني : المرجع السابق ص٣٩٤.

(٢٤٦) عبد القادر بدران : المرجع نفسه ص٤٩.

(٢٤٧) المدرسة الأكزية : كانت قبالة المدرسة الشبلية، بسفح قاسيون، بالقرب من نهر ثورا، غيَّرت معالمها، بابها موجود وهي دارُ للسكن/ النعيمي : المصدر نفسه جـ١ ص١٢٤/ ابن شداد الحلبي : المصدر السابق ص٢٣٧/ محمد كرد علي : المرجع السابق جـ٦ ص٧٥–ص٧٦/ حسن شميساني : المرجع السابق ص١١٢,

(٢٤٨) النعيمي : المصدر نفسه جـ١ ص١٢٤/ عبد القادر بدران : المرجع نفسه ص٨٢–ص٨٣/ حسن شميساني : المرجع نفسه ص١١٢.

(٢٤٩) المدرسة الدولعية :هي بجيرون، لم يبق لها أثر، سوى حجرة لطيفة بها قبر الدولعي دارٍ صغير/ النعيمي : المصدر نفسه جـ١ ص١٨٢

(٢٥٠) جمال الدين بن محمد الدويلعي : ولد سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م في قرية الدولعية بالقرب من الموصل و قدم بغداد و تفقه فيها، ثمَّ قدم دمشق فاستوطنها و صار خطيبيها، و كان متزهداً، حسن الأثر، حميد الطريقة، مهيباً صارماً في قول الحق، و كانت وفاته يوم الثلاثاء ١٢ربيع الأول ٥٩٨هـ/ ١٢ كانون الأول ١٢٠١م، و دفن بباب الصغير قرب الصحابة و قبره مزارٌ يزار/ أبو شامة : المصدر السابق جـ٥ الذيل ص٤٨/ النعيمي : المصدر نفسه جـ١ ص١٨٢–ص١٨٣.

(٢٥١) عبد القادر بدران : المرجع نفسه ص٩٨.

(٢٥٢) المدرسة العمادية : داخل بابي أبي الفرج و قد اندرست معالمها/عبد القادر بدران : المرجع نفسه ص١٣٣.

(٢٥٣) النعيمي : المصدر نفسه جـ١ ص٣١٢–ص٣١٣/ عبد القادر بدران : المرجع نفسه ص١٣٤.

(٢٥٤) المدرسة الريحانية : تقع جوار المدرسة النورية من الجانب الغربي/ النعيمي : المصدر نفسه جـ١ ص٤٠١/ ابن شداد الحلبي : المصدر نفسه ص٢٠٩.

(٢٥٥) الطواشي : أطلقت في العهد المملوكي على الخدم الخصيان الذين استخدموا في الطباق السلطاني، و كذلك في قسم الحريم في القصر السلطاني، و كانت لهم حرمة و كلمة نافذة، و يرأسهم شيخ يطلق عليه ((شيخ الطواشية)) يعتبر من أعيان الناس/ حسان حلاق، عباس صباغ : المرجع السابق ص١٤٧.

(٢٥٦) النعيمي : المصدر نفسه جـ١ ص٤٠١/ عبد القادر بدران : المرجع نفسه ص١٧٢.

(٢٥٧) المدرسة الزنجارية : هي خارج باب توما و باب السلام، و يقال له : <<الزنجيلية المسبعة، تجاه دار الأطعمة، و بها تربة، و جامع بخطبة بمعلوم على الجامع الأموي>>/ النعيمي : المصدر السابق جـ١ ص٤٠٤/ ابن شداد الحلبي : المصدر السابق ص٢٢٢.

(٢٥٨) عز الدين عثمان الزنجبيلي : هو أبو عمرو عثمان بن علي، كان أميراً كبيراً، استنابه تورانشاه بن أيوب على عدن سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م، و توفي في دمشق سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م/ أبو شامة : المصدر السابق جـ٢ ص١٧٨.

(٢٥٩) النعيمي : المصدر نفسه جـ١ ص٤٠٤/ عبد القادر بدران : المرجع السابق ص١٧٣.

(٢٦٠) المدرسة الضيائية : هي بسفح قاسيون شرقي الجامع المظفري/ النعيمي : المصدر نفسه جـ٢ ص٧١.

(٢٦١) النعيمي : المصدر نفسه جـ٢ ص٧٦/ عبد القادر بدران : المرجع نفسه ص٢٤٢-ص٢٤٣.

(٢٦٢) المدرسة الشامية البرانية : كانت ظاهر مدينة دمشق بمحلّة العقبة بالعونية و المشهورة بالعقيبة الكبرى، بينها و بين سوق صاروجا، و كان محلها قديماً يسمَّى بالعينية، و تعدُّ من أكبر المدارس/ النعيمي : المصدر نفسه جـ١ ص٢٠٨/ ابن شداد الحلبي : المصدر نفسه ص٢٤٩/قتيبة الشهابي : مشيدات دمشق ذوات الأضرحة و عناصرها الجمالية وزارة الثقافة دمشق ١٩٩٥ ص٣٦٩.

(٢٦٣) الخاتون : استخدم لقباً لسيدات الطبقة العالية، و يستعمل أيضاً بمعنى السيدة/ حسان حلاق، عباس صباغ : المرجع السابق ص٧٩.

(٢٦٤) أبو شامة : المصدر السابق جـ٥ الذيل ص ١٨٠/النعيمي : المصدر نفسه جـ١ ص٢٠٩/ عبد القادر بدران : المرجع نفسه ص١٠٤/ محمد كرد علي : المرجع السابق جـ٦ ص٧٩/حسن شميساني : المرجع السابق ص١٠٩-ص١١٠/قتيبة الشهابي : المرجع نفسه ص٣٦٩/أحمد الأوتاني : المرجع السابق ص٣٩٠.

(٢٦٥) المدرسة الشامية الجوانية : تقع قبالة البيمارستان النوري/ النعيمي : المصدر نفسه جـ١ ص٢٢٧.

(٢٦٦) النعيمي : المصدر نفسه جـ١ ص٢٢٧/ عبد القادر بدران : المرجع نفسه ص١٠٦.

(٢٦٧) المدرسة العمرية : تقع بجبل قاسيون بالصالحية في وسط دير الحنابلة، و كانت في الأصل مقصبة، و هي الآن خراب أكل النظار أوقافها و استباحوا أخذ خزانة كتبها المهمة/ النعيمي : المصدر نفسه جـ٢ ص٧٧/ ابن شداد الحلبي : المصدر السابق ص٢٥٩/ابن طولون : القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ط٢ دمشق ١٩٨٢ ص٢٤٨.

(٢٦٨) الشيخ أبو عمر المقدسي : هو محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة، ولد بقرية جمَّاعيل من أعمال بيت المقدس و نابلس، سنة ٥٢٨هـ/١١٣٤م، هاجر مع والده إلى دمشق بعد استيلاء الفرنجة على الأراضي المقدسة، نزلت عائلته في مسجد آبي صالح بباب شرقي مدَّ، ثمَّ انتقلوا إلى الجبل، حفظ الشيخ أبو عمر القرآن و الفقه و الحديث، و كان إماماً فاضلاً و زاهداً و عابداً كثير الصيام، و القيام ليلاً، ، خطب في جامع الجبل((الحنابلة في الصالحية)) و عليه ثوبُ خامٍ مهدول الجيب، و في يده عصا، و قد حضر الغزوات مجاهداً في سبيل الله مع صلاح الدين الأيوبي إلى أن توفي في يوم الأحد ٢٢ ربيع الأول ٦٠٧هـ/١٩ أيلول ١٢١٠م/ أبو شامة : المصدر السابق جـ٥ الذيل ص١٠٩-ص١١٥/سبط ابن الجوزي : المصدر السابق جـ٢٢ ص١٧٥-ص١٨٣/ النعيمي : المصدر السابق جـ٢ ص٧٨-ص٧٩/ ابن طولون : المصدر السابق ص٢٤٩-ص٢٥٠.

(٢٦٩) النعيمي : المصدر نفسه جـ٢ ص٨٦-ص٨٧/ ابن طولون : المصدر نفسه ص٢٦٦-ص٢٦٨/ عبد القادر بدران : المرجع السابق ص٢٤٤-ص٢٤٥/ حسن شميساني : المرجع السابق ص١٠٢-ص١٠٣.

(٢٧٠) المدرسة الصاحبة : تقع بسفح قاسيون من الشرق، و بناؤها عظيم يدل على الأبهة والجلال/ النعيمي : المصدر نفسه جـ٢ ص٦٢.

(٢٧١) النعيمي : المصدر نفسه جـ٢ ص٦٧/ عبد القادر بدران : المرجع نفسه ص٢٣٧.

(٢٧٢) أحمد الأوتاني : المرجع السابق ص٣٩٠.

(٢٧٣) أبو شامة : المصدر نفسه جـ٢ ص٣٦/ أحمد الأوتاني : المرجع نفسه ص٣٥٢.

(٢٧٤) محمد كرد علي : المرجع السابق جـ٦ ص١٣٠/ عبد القادر بدران : المرجع نفسه ص٢٧٢/ حسان حلاق، عباس صباغ : المرجع السابق ص٨٠.

(٢٧٥) محمد كرد علي : المرجع نفسه جـ٦ ص١٣٠.

(٢٧٦) عبد القادر بدران : المرجع نفسه ص٢٩٩.

(٢٧٧) النعيمي : المصدر نفسه جـ٢ ص١٦١.

(٢٧٨) قتيبة الشهابي : المرجع السابق صص١٥.

(٢٧٩) عبد القادر بدران : المرجع نفسه ص٣١٧.

(٢٨٠) ابن جبير : المصدر السابق ص٢٤٤-ص٢٤٥/ أحمد الأوتاني : المرجع نفسه ص٣٥٣-ص٣٥٤.

(٢٨١) حسان حلاق : أوقاف المسلمين في بيروت في العهد العثماني الدار الجامعية ط٢ بيروت ١٩٨٨ ص٣٢/ عزة الرباط : المرجع السابق ص٩٢.

(٢٨٢) ابن جبير : المصدر نفسه ص٢٥٥.

(٢٨٣) أبو شامة : المصدر السابق جـ١ ص١٠٥.

(٢٨٤)ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء دار الكتب العلمية ط١ بيروت ١٩٩٨ ص٥٨٨–ص٥٨٩

(٢٨٥) ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ص٦١٢/ عصام شبارو : المرجع السابق ص٢٢٠.

(٢٨٦) عزة الرباط : المرجع السابق ص ١١٣–ص١١٤.

(٢٨٧) عبد القادر بدران : المرجع السابق ص١٤٤.

(٢٨٨) عزة الرباط : المرجع نفسه ص١١٧–ص١١٩.

(٢٨٩) عبد القادر بدران : المرجع نفسه ص٣٧١–ص٣٧٢.

(٢٩٠) ابن عساكر : المصدر السابق جـ٢ ص٢٨٨–ص٢٩٧.

(٢٩١) ابن شداد الحلبي : المصدر السابق ص٩٢–ص١٦٦.

(٢٩٢) النعيمي : المصدر السابق جـ٢ ص٢٣٣–ص٢٨٣.

(٢٩٣) قتيبة الشهابي : مآذن دمشق وزارة الثقافة دمشق ١٩٩٣ ص٨٥.

(٢٩٤) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ص٢٥.

(٢٩٥) ابن عساكر : المصدر نفسه جـ٢ ص١٦٢.

(٢٩٦) ابن جبير : المصدر السابق ص٢٦١.

(٢٩٧) منير كيال : الحمامات الدمشقية و تقاليدها وزارة الثقافة دمشق ص١٩٦٤ ص١٥١–ص١٦٧.

(٢٩٨) سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع نفسه ص٢٤–ص٢٥.

(٢٩٩) جاك دي فيتري : المصدر السابق ص١٩٣.

(٣٠٠) جاك دي فيتري : المصدر نفسه ص١٩٤–ص١٩٥.

(٣٠١) حبيب الزيات : خبايا الزوايا من تاريخ صيدنايا وثائق تاريخية للكرسي الملكي الأنطاكي للروم الكاثوليك دمشق ١٩٨٢ ص٦٣.

(٣٠٢) يوسف نعيسة : يهود دمشق ص١٢–ص١٤/كنيس القرائيين حالياً هو مقر بطريركية الروم الملكيين الكاثوليك في حارة الزيتون بدمشق.

(٣٠٣) الأب متري هاجي أثناسيو : موسوعة بطريركية أنطاكية دار صادر ط١ جونية ١٩٩٧ جـ٥ ص٩٧–ص٩٨.

(٣٠٤) ابن جبير : المصدر السابق ص٢٥٥.

(٣٠٥) ابن عساكر : المصدر السابق جـ٢ ص٣٥٢–ص٣٥٧/ الأب متري هاجي أثناسيو : المرجع السابق جـ٥ ص١٠٥–ص١٠٦.